فهـــرس الـعـــدد

الدراســات التاريخيــة

القديم : التمـوسع الرومانى نحـو الجنـوب الجزائرى وآثاره الاقتصادية والاجتماعية — **شنيتى محمد بشـير** — 2

الوسيط : مصادر ثورة ابن يزيد مخلد بن كيداد — **د. احســان عبــاس** — 25

الحركة الاباضية فى تاهرت وسدراتة وغرداية — **د. محمد بلغــراد** — 43

من قضايا التاريخ الرستمى — **د. لقبــال موسى** — 51

الحديث : مدينة ورقلة فى رحلة العياشى — **د. مولاى بلحميسى** — 60

ورقلة ومنطقتها فى العهد العثمانى — **د. ناصر الدين سعيدونى** — 71

الوضع فى منطقة ورقلة قبل الاحتلال الفرنسى — **د. عبد الحميد زوزو** — 96

المعاصر : نماذج من مقاومة سكان الواحات — **د٠ يحيى بوعـزيز** — 117

الــدراسات الاقتصــادية

ورقلة عروس مدائن الجنوب الجزائرى — **د. عبد القادر زبــادية** — 141

تطور ناحية ورقلة ما بين 1962 ــ 1975 — **جلــول مكــى** — 147

التـــراجـم

أبو يعقوب يوسف الورجلانى وكتابه الدليل والبرهان — **عبد الرحمن الجيلالى** — 162

أبو عمار الكافى والنسق الكلامى — **د. عمــار الطالبى** — 172

الــدراسات الحضــارية

الفن الرستمى بتاهرت وسدراته — **د. رشيد بورويبة** — 180

لمحات من دور الدولة الرستمية فى ميادين الحضــارة والفكر لبعض الباحثين القدامى والمتأخرين — **المهــدى البوعبدلى** — 193

ورقلــة من خــلال النصــوص — **د٠ مولاى بلحميسى** — 207

القســم الفــرنسى

ورقلــة من خــلال النصــوص — **د٠ مولاى بلحميسى** — 1

من قضايا التاريخ الرستمي الكبرى

مكتبة «المعصومة» بتاهرت ، هل أحرقت ؟
أو نقلت عيونها الى سدراته في جوار بني وارجلان ؟

د . لقبال موسى
معهد العلوم الاجتماعية ـ دائرة التاريخ
جامعة الجزائر

لئن كان سقوط الامارة الاغلبية فى افريقية قد جاء نتيجة لنجاح الداعى الشيعى فى تحويل اللقاء فى معركة الاربس الحاسمة (ولاية الكاف سنة 396هـ/908 909م). لصالح الشيعة ، فان سقوط الامامة فى تاهرت وتصفية الاسرة الرستمية (فى شوال 396هـ/جوان 908م) ، قد تم بدون اعداد ، أو زحوف ، أو مقاومة تذكر .

واذا كان قد ترتب عن سقوط الامارة الاغلبية : قيام نظام جديد فى رقادة ذاتها ، هو نظام الفاطميين ، فان ما ترتب عن سقوط الامامة الرستمية هو بداية لظهور مدن أخرى فى الصحراء بعد فقدان حاضرة تاهرت لمركزها كعاصمة دولة مستقلة ؛ لانها

غدت فقط مدينة اقليمية مشمولة بنظر النظام الجديد الذى احتفظ مؤقتا برقـــادة عاصمة سياسية له ٠

واذا كانت النصوص لم تشر بصدد سقوط حواضر افريقية الكبـــرى وهى : القيروان ، ورقادة ، الى تصرف معين للداعى الشيعى تجاه « المخلفات » والآثار الادبية والفكرية ، فان النصوص الاباضية ، أشارت الى حادث استيلاء أبى عبد الله الشيعى، على مكتبة المعصومة ، بمدينة تاهرت ، عاصمة الرستميين ٠ وكانت على جانب كبير من الاهمية ، ومن التنوع والغنى ٠ وتضيف النصوص الاباضية ، بأن أبا عبد الله الشيعى فحص محتويات المكتبة الثرية ، فأخذ منها كتب الرياضة ، والصنائع وما شابهها من الكتب الفنية ، والعلمية ، ثم أحرق بقية الكتب ، والآثار المذهبية ، ومن ضمنها : أمهات كتب المذهب، ودواوينه ، ومن أجل ذلك فقدت أغلب الاصول المذهبية للاباضية، وغدا رجال المذهب الاباضى ، لاول مرة ، بعد حياة ثرية ، وحافلة ، بدون مصادر أصلية، لمذهبهم (1) ٠ ومن ضمنها ديوان تاهرت الذى كان عمدة فى الاحكام ٠

ويبدو أن هذه الرواية التى تفردت بها بعض النصوص الاباضية تفتقر الى السند التاريخى الصحيح ، ولا يوجد ما يؤيدها فى النصوص السنية والشيعية أيضا ٠

وذلك لان تصرفات أبى عبد الله الداعى ، كانت موزونة ومؤسسة بخاصة ، على احترام الآثار الادبية ، والمادية القديمة ؛ ولذلك لم يلتجىء أثناء توسعه فى منطقة الزاب وافريقية ، الى أسلوب التخريب ، أو الحرق الا لضرورة استراتيجية ، وضد منشآت حربية بحتة ، وقد جرى ذلك فعلا بالنسبة لمدن (الاربس) و (سجلماسة) و (بلزمة) ، عندما قاوم سكانها واظهروا العناد (2) ٠ لكن لم تشر النصوص ، الى سلوكه سياسة حرق الكتب ، والمكتبات ، فى هذه المدن التى استعصت عليه ، وقاومت

(1) الدرجينى : الطبقات ورقة 111 ، أبو زكرياء السيرة ورقة 33 ، الشماخى السير ص 228 ، البارونى الازهار الرياضية 2 ، 293 ٠
تشبه هذه الرواية رواية عبد اللطيف البغدادى عن احراق عمرو بن العاص لمكتبـة الاسكندرية بعد فتحها ٠ وقد ثبت خطأ هذه الرواية وعدم تحرى راويها فى النقل ٠
(2) النعمان : افتتاح الدعوة ورقة 118 ــ 119 (164 ــ 165 ط بيروت) ، ابن الاثير الكامل ، التاريخ 15,8 البكرى : المغرب 46 ، ابن عذارى : البيان المغرب 199,1 ٠

رجاله ، وألحقت بهم خسائر جمة · فكيف نصدق بسهولة رواية حرق مكتبة المعصومة بتاهرت ؟ وهى التى لم تقاوم ، بل رحبت بركب الداعى ، الذى فارقها ، الى هدفه البعيد ، فى سجلماسة ، حيث يوجد « امام الزمان » ، و « صاحب الدعوة » · عبيد الله « المهدى » أول الخلفاء الفاطميين فى بلاد المغرب الاسلامى ·

والذى يلاحظ أيضا ، أن النصوص التاريخية لا تشير بصدد فتح (سجلماسة) « عنوة » ، الى سياسة معينة تجاه الآثار الادبية للمخالفين ، مثل حرق الكتب ، والمكتبات ، أو حتى مصادرتها ، والتحفظ عليها ، كما خلت أيضا ، مما يفهم منه حرق الكتب السنية ، بعد اقتحام مدينة رقادة ، وحاضرة القيروان ؛ ولذلك يبدو أن الرواية التى تفردت بها بعض النصوص الاباضية ، يتخللها الشك ، لغرابتها ؛ وربما دفع الى صياغتها الغضب من الشيعة وكراهيتهم والرغبة فى تشويه سمعتهم ، والتشهير بهم ، باعتبار أنهم أعداء للفكر الاباضى ومتعصبون ضد المخالفين لهم فى المذهب الدينى·

وقد ظهرت أصداء ما يكنه أولئك لهؤلاء ، فى بعض المصادر الاباضية المتاخرة مثل الوارقلانى (ق 6 هـ/12 م) فى كتابه : « الدليل والبرهان » ، حيث يقول : « وأما الشيعة الجهلة، روافضهم، وغاليتهم، فانهم قدحوا فى الاسلام، والنبوة، والالوهية» (3).

ولنا أن نتساءل مع ذلك عن أهمية كتب « الحرف » « والفنون الدنيوية » التى اشتملت عليها مكتبة المعصومة فى تاهرت ، أو اختصت بها مكتبة الائمة الرستميين « الافاضل » ، دون حواضرا فريقيه الكبرى ، ومكتبات الامراء الاغالبة ، وعلى رأسها بيت الحكمة فى القيروان الذى أشرف على تأسيسه وتجهيزه الامير أبو مضر زيادة الله الاخير (4) (290 هـ/902 ــ 903 م) ، ثم مكتبة فاس وروائع الآثار الادريسية ومكتبة بنى واسول فى سجلماسة وآثارهم الأدبية ؟

ان النصوص الاباضية ، وغير الاباضية ، لم تشر الى استيلاء الداعى الشيعى ، على المكتبات الخاصة بالامراء الاغالبة ، فى افريقية ، ولا على الآثار والكتب ، التى كانت فى

(3) أنظر : ج 29,I ــ 32 (من كتاب الدليل لاهل العقول) ·
(4) عثمان الكعاك : الحضارة العربية فى حوض البحر المتوسط II2 ، وفيه ترجمت كتب أنساب البربر ·

حوزة بعض علماء المالكية ، والحنفية ، والشافعية فى افريقية ، مع أن هؤلاء قد عارضوا الحكم الفاطمى ، وقاوموه مقاومة عنيدة ، وكانوا بمثابة المرشدين للعامة ، حتى لا يفتنوا من طرف الدعاة الاسماعيلية · ولقد كانت حواضر افريقية ، والمغرب الاوسط ، والاقصى ، وهى : القيروان ، ورقادة ، وتلمسان ، وفاس ، وسجلماسة زاخرة بالكتب ، وبالآثار الادبية ، وبالمكتبات مثل تاهرت ، حاضرة بنى رستم ، ومع ذلك يفتقر الباحث الى اشارات نصية ، عن قضية حرق الكتب ، والمكتبات ، حتى فى عهود الفتن ، والثورات ، والصراع المذهبى بين الشيعة ، ومعارضيهم ، من أية نحلة كانوا ·

ويلاحظ ان الرواية الاباضية تذكر ان الداعى عندما مر بتاهرت ، وفعل « فعلته » كان فى طريقه الى سجلماسة ، لا الى رقادة ، نقطة تمركزه واستقراره · وهنا يصح لنا أن نقول : كيف يثقل الداعى نفسه بحمل الكتب ، ويشغلها بالنشاط الثقافى والعلمى ، وهو متأهب للحرب ، ويعد للمعركة المرتقبة مع أمير سجلماسة (اليسع ابن مدرار) الذى سجن المهدى وابنه أبا القاسم وضيق عليهما فى سجنهما ؟ لا سيما وان النصوص الاباضية تبالغ فى وصف مكتبة المعصومة ، وفى عدد الاسفار التى كانت تشتمل عليها (5) ·

ولو أن مدينة تاهرت استعصت على الداعى ، وقاومت ، ولو انها لم تصبح مدينة مفتوحة ، ومنطقة نفوذ للداعى ، وللحركة الاسماعيلية ، لكان لرواية حرق الكتب وجه صواب ، أما وقد صارت تاهرت وما فيها من ذخائر ، ملكا خالصا ، لداعى الفاطميين بحق الفتح فان الاقرب الى التصديق والقبول ، أن يكون هذا الاخير ، قد أمر بالعناية بمكتبة المعصومة ، وبالذخائر والآثار الادبية ، وبمخلفات الامامة الرستمية ، نظير ما فعله فى رقادة ، بالنسبة لمخلفات الامارة الاغلبية · وفى ذلك انسجام كامل مع ماضيه كمعلم ، ورجل فكر · ويؤيد هذا الافتراض ، أن الداعى الشيعى تصرف فى مدينة

(5) أنظر : البكرى : المصدر السابق 66 ، حيث يذكر ان لمدينة تاهرت قلعة تعرف بالمعصومة وهذه المكتبة يبدو أنها كانت فى القلعة أو بجوارها · مما يبرر تسميتها بمكتبة المعصومة نظير مكتبة القلعة فى مصر القديمة مثلا ·

تاهرت بعد دخولها ، على نحو يشعر بأنه أصبح مسؤولا « أوحد » على شؤونها ، وعلى راحة وأمن سكانها ، وممتلكاتهم ، ولذلك عندما فارقها الى سجلماسة ، تـرك حاميـة عسكرية كتامية لحفظ الامن ، وقائدا من لهيصة ، هو أبو حميد دواس بن صولات ، يساعده أخص رفقاء الداعى ، وهو ابراهيم بن محمد اليمانى ، الذى اشتهر بلقـب « السيد الصغير » ، تمييزا بينه وبين أبى عبد الله الداعى ، الذى اشتهـر بلقـب « السيد الكبير » . ولعل حرق نفائس مكتبة المعصومة ، ان حصل فعلا ، انما يكون بسبب الفتن ، والصراعات ، التى عرفتها مدينة تاهرت ، والامامة الرستمية ، وهـى فتن كثيرة ، تسببت فيها القبائل المجاورة للمدينة ، مثل هوارة ، ولواتة ، وزناتة ، وكذلك سياسة بعض الائمة الرستميين ، مثل الامام أبى بكر بن أفلح ، ثم التناقضات الاسرية ، فى صميم البيت الرستمى ، التى ترتب عنها اغتيال الامام أبى حاتم يوسف بتدبير أخيه اليقظان ، وانقسام البيت الرستمى ، والموالين للامامة الى حزبين متعاديين ؛ يحاول كل منهما أن ينال من الآخر بالتماس الحليف ، والنصير ، سواء فى داخل تاهرت أو فى خارجهـا .

ويبدو لى أيضا أن الفارين ـ بعد سقوط تاهرت ـ مـن بقايا الاسرة الرستمية ، مثل الامام يعقوب بن افلح ، وابنه أبى سليمان ، وبعض ابناء الامام أبى حاتم يوسف ، مثل الاميرة دوسرا ، التى بحث عنها ، فلم يعثر لها على أثر ، بعد سقوط المدينة ، هؤلاء يمكن أن يكونوا قد أخذوا شيئا غير قليل ، من هذه النفائس المذهبية ، والدنيوية الى مهجرهم الجديد فى (صحراء بنى وارجلان) ، غير أن بعضها يكون قد ضاع فى الطريق لاشتغال الفارين بالدفاع عن أنفسهم ، وتأمين حياتهم ، من جنود الداعى ، أما بقيـة الكتب ، فقد يكون قد أصابه البلى ، أو أفسده المعارضون السياسيون ، للامـامة الرستمية ، أو المنشقون عن الطائفة الاباضية الوهبية ؛ مثل بقايا النكارية .

وقد أدى الانشقاق فى صلب المذهب الاباضى ، منذ عصر الامام عبد الوهاب ، الى جنوح فئة من اباضية جبل نفوسة وطرابلس الى الاستقلال ، عن نظام الامامة ؛ وكان الخلاف بين صفرية سجلماسة ، واباضية تاهرت عميقا ، رغم ما كان يوجد بين الاسرتين

الحاكمتين من رباط المصاهرة منذ عصر الامام عبد الرحمن بن رستم (6) · لذلك لـــم يرض صفرية سجلماسة بولاية ميمون بن مدرار المنتصر (ابن أروى) فى سجلماسة ، كما ضـــم صفرية تاهرت أصواتهم الى أصـــوات المالكية ، والواصلية ، والاباضية المعارضين للامامة ، وطالبوا الداعى الشيعى بالتدخل لوضع حد لنظام اليقظان بن أبى اليقظان وأسرته الرستمية ، على ان يساعدوه فى مجهوداته (7) ·

فلعل هذه الطوائف التى تواطأت مع الشيعى لمحو الكيان السياسى ، للاباضية فى تاهرت ، هى التى قادت المعركة ضد آثارهم الادبية ، والمذهبية بطريقة أو بأخـرى ، سيما وأنها يحكم تعايشها معهم ، فى تاهرت تكون قد تضررت بمظاهر استبدادهم وبتحيزهم وعنادهم التى كانت تظهر أثناء حلقات الجدل ، والمناظرة ، بين الطـوائف المذهبية ، أو أثناء الفتن ، والحروب الداخلية ·

واذا كانت ظروف سقوط تاهرت ، وما صاحبه من احتلال الامن ، واستبداد جند كتامة بالسكان ، وسلوكهم سياسة السلب والنهب ، قد هيأت الفرصة ، اما لضياع ، أو لافساد الآثار المذهبية ، للاباضية · فالذى يلاحظ هنا :

ان اباضية (جبل نفوسة) ، (وجبل دمر) والجريد وجربة ، قد بقوا حتى هذا الوقت بمنأى عن الاخطار · وبالتالى بقيت آثارهم الادبية وكتبهم المذهبية فى حرز أمين ·

ومنطقة جبل نفوسة بصفة خاصة ، كانت تعتبر مركزا تاريخيا للمذهب ، وموطنا زاخرا بعلمائه ، وحملة لوائه ·

وقد كان الائمة منذ عصر الامام عبد الوهاب ، يستعين بهم ، فى الفتـــوى ، وفى تسيير بعض الخطط الشرعية مثل القضاء ، والحسبة ، والشرطة ، كما كانوا يستجلبون بعض حذاقهم ، للرد على الفئات المعارضة ، ولادارة حركة الجدل ، لدحض آراء المخالفين لهم مثل الواصلية (8) ·

---

(6) البكرى : المصدر السابق 150 ، ابن عذارى : المصدر السابق 216,1 ·
(7) البارونى : المرجع السابق 92,2 وما بعدها · أبو زكرياء : السيرة : ورقة 32 ــ 33.
(8) البارونى : المرجع السابق 118,2 ــ 119 ·

وعلى هذا النسق ، نقول : ان ما كان يوجد فى تاهرت من كتب مذهبية ، أو فنية لا يمكن اعتبارها بسهولة هى الفريدة ، وهى الامهات ، وبضياعها ضاعت الاصول ، كما تشير الى ذلك بعض النصوص الاباضية ، لان الموطن الثانى للامهات المذهبية ، ولكتب الفنون والحرف كان فى قرى « جبل نفوسة » وحواضره أيضا · وما ضاع من «تاهرت» بعد سقوطها ، يكون له بدون شك اما نظير ، أو أصل فى منطقة نفوسة (9).

والذى يجب تأكيده هنا : أن النصوص لا تشير الى حركة هجرة كثيفة من تاهرت بعد سقوطها » وهذا يعنى أن أغلب سكان المدينة بقوا على وضعهم ، يظلهم تسامح الداعى الشيعى · فلم يفارق المدينة ، الا اعداد يسيرة ، ضمنها بقية أفراد الاسرة الرستمية ، ومن تعلق بهم ، بسبب من الاسباب ؛ وهؤلاء اتجهوا الى صحراء وادى ريغ وبنى ورجلان ، حيث اخوانهم الذين رحبوا بهم ، وفكروا جديا فى احياء نظام الامامة من جديد ، لولا امتناع الامير يعقوب بن افلح · ويبدو أن جماعات أخرى ترسبت فى منطقة الزاب، وفى كتلة أوراس بجوار اخوان لهم أيضا، بدليل ان البكرى (ق 5هـ/11م) لاحظ انتشار الاباضية فى مدن الزاب ، وجبل أوراس (10) ، كما التجأ آخرون الى اقليم قسطيلية (الجريد) ، وقصور قفصة، ونفزاوة واستقروا بجوار اخوانهم الاباضية، لان ابن حوقل (ق 4 هـ/10 م) أشار الى كثرة الاباضية فى قسطيلية ، وقفصة وبشرة وسوماطة (11) ·

والشىء الذى يستخلص من كل ذلك هو ارتباط تاريخ جبل نفوسة وطرابلس ، ومنطقة قسطيلية ونفزاوة ، ووادى ريغ وصحراء بنى وارجلان بتاريخ تاهرت الرستمية والفضل فى وحدة تاريخ المنطقة كلها الى الاسلام ، ثم الى المذهب الاباضى الذى عبر عنه نفسه « سياسيا » فى جبل نفوسة ومنطقة طرابلس ، حيث قامت «الدولة الخطابية»

(9) الشماخى : المصدر السابق 424 ، ومن ذلك ما ذكره الشماخى عن تآليف كثيرة بلغ عددها ثلاثة وثلاثين ألف سفر ، وقارن أيضا بما ذكره عن مدونة أبى غانم ، التى احتفظ بها فى صورتها العمروسية : ص 228 ·

(10) المصدر السابق 72 — 73 ، 144 — 145 ؛ ومن هؤلاء تلقى أبو يزيد النكارى مساعدة كبرى اثناء ثورته ضد الفاطميين ·

(11) صورة الارض 93 — 94 ·

كما عبر عن نفسه فى تاهرت أيضا حيث قامت الدولة الرستمية اما بعد سقوط الامامة ، ورفض يعقوب بن افلح احياءها فى حماية بنى وارجلان فى الصحراء ، فقد اقتصر التعبير الاباضى على النواحى «المذهبية والحضارية» فى منطقة الصحراء الواسعة وضمنها بلاد الشبكة أو بلاد ميزاب الزاهرة فى وقتنا · ويبدو أن رغبة بنى وارجلان فى احياء الامامة ، هو الذى تسبب فى غضب الداعى الشيعى ، وعبيد الله المهدى أيضا الذى أمره بملاحقة الفارين الى وارجلان ، وتأديب سكانها ، على ترحيبهم ، ببقايا الاسرة الرستمية · وفى ضوء ذلك تفهم الرواية الاباضية ، عن سرية وجهها المهدى ضد بنى وارجلان ، فلم تستطع النيل منهم ، لتحصنهم بكدية كريمة (12) ·

ومما يلفت النظر أن أقدم رحالة وجغرافى ، زار تاهرت فى عصر أبى اليقظان محمد ، وهو : ابن واضح اليعقوبى (ت 284 هـ) ، لم يشر أثناء حديثه عن تاهرت وأحوازها ، وعن القبائل الاباضية التى تنتشر حولها ، أو بعيدا عنها الى قلعة تسمى بالمعصومة ، ولا الى مكتبة خاصة فى المدينة تعرف بهذا الاسم أو باسم آخر ؛ هذا بينما وصف تاهرت « بعراق المغرب » ، من فرط اعجابه بازدهارها · كذلك نلاحظ أن أقدم مؤرخ وهو ابن الصغير ، الذى عاش فترة فى تاهرت ، وعاصر أخريات عهد أبى اليقظان محمد (ت 281 هـ) لم يشر الى اسم مكتبة خاصة بالرستميين فى تاهرت ، ولا الى قلعة باسم المعصومة ، رغم أنه اشار الى مجموعة من القلاع كانت تنتشر حول ارباض تاهرت مثل (اسكدال) و (تسلونت) و (حصن لواته) و (قلعة نفوسة) (13) ·

وهذا قد يلقى ظلالا من الشك حول وجود قلعة بهذا الاسم ، فى تاهرت فى هذه الفترة · وبما أن هذه الفترة الذهبية وهى فترة أبى اليقظان محمد ، قد تلتها عهود الفتن ، والحروب القبلية ، والنزاعات الاسرية ، فان الاقرب الى الظن ان يكون بناء قلعة المعصومة فى تاهرت تم فى عهد الولاة الفاطميين ؛ لان الرواية التى رواها أبو عبيد البكرى (ق 5 هـ/11 م) استنادا على رواية شيخه محمد بن يوسف الوراق

(12) أبو زكرياء : المصدر السابق ، ورقة 32 ــ 33 ، وهنا يشير الى تحصن بنى وارجلان بكدية كريمة ممتنعين عن رجال عبيد الله المهدى الذين انسحبوا بدون نتيجة ايجابية ·
(13) أخبار الائمة الرستميين 39 ·

(ق 4 هـ/10 م) ، لا يمكن حملها على عهد الامامة الرستمية ، نظرا لانعدام المرجحات وسكوت المصادر المعاصرة . والاقرب الى الرجحان حملها على عهد الفاطميين أو الزيريين (14) . الذى عرف صراعا مريرا دار بين ولاة المدينة وزعماء زناتة الكبار لان تاهرت غدت فى العصر الفاطمى تشرف على الجزء الغربى من الخلافة الفاطمية ، وتمثل القاعدة الكبرى للانطلاق للتوسع ، أو لحراسة النفوذ الفاطمى من حركات زناتة والامويين فى قرطبة . وفى عصرها الجديد ، لم تتأثر وضعيتها بالسياسة المذهبية للخلفاء الفاطميين ، بقدر ما تأثرت بدسائس مجموعاتها القبلية ، وطوائفها المذهبية ، ومن حركات زناتة ، والحاح محمد بن خزر المغراوى عليها ، بتنسيق مع بعض المعارضين للحكم الفاطمى فيها .

ومما سبق يتبين كيف انه لا يمكن الركون الى رواية حرق كتب المذهب الاباضى فى تاهرت بعد فتحها من طرف أبى عبد الله الشيعى ، بينما لا يستبعد أن يكون هذا الاخير قد تصفح محتويات ما بقى من المكتبة واستحسن بعض نفائسها ، وأمر بحفظها والعناية بها مثلما جرت عادته بذلك من قبل ، احتراما لآثار غيره ، ولماضيه كمعلم وكداعية . كما لا يستبعد أيضا أن يكون الهام فى هذه المكتبة قد تلقفته أيد كثيرة فى عهود مختلفة قبل وصول كتائب الشيعى الى المدينة فعلا ، وبعضها يكون قد نقل مع الفارين الى صحراء بنى وارجلان خاصة مع الامام يعقوب بن افلح (15) واتباعهما باعتبار ذلك ارثا نفيسا بقى من عهد الاسلاف . وأقل ما يجب نحوه هو : حفظ قداسته ، وقيمته حتى لا يعبث بهما المخالفون والاعداء .

(14) ومما له دلالة بالغة أن أبا زكرياء لم يشر الى اسم مكتبة فى تاهرت ، وانما قال : وجد الداعى صومعة كتب الخ .. وكذلك الدرجينى فى الطبقات .

(15) تشير بعض النصوص الى ان يعقوب بن افلح ، رزق بابنه أبى سليمان فى المهجر الجديد فى بنى وارجلان .